الدبلوماسية الدينية وآثارها السياسية والأمنية، المرجعية الدينية في العراق بعد عام 2003 أنموذجا

د . صفاء ابراهيم الموسوي

كلية العلوم السياسية-جامعة النهرين

الكلمات المفتاحية : الدبلوماسية الدينية ، المرجعية الدينية.

الملخص:

لم يبرز الإهتمام الفعلي بدور المقاربة الدينية في العلاقات الدولية بشكل صريح وواضح إلا بعد أحداث 11 أيلول 2001، وعلى الرغم من تزايد الدراسات والأبحاث التي سبقت ورافقت نهاية الحرب الباردة والتي أثارت جدلا عن الصراعات المستقبلية بين الحضارات ودور الدين فيها مثل أبحاث (هنتغتون) وغيرها، إلا أن هذه الرؤى كانت غالبا ما تدور في أوساط النخب المثقفة أكثر من غيرها، لذا تعد أحداث عام 2001 بداية لمرحلة جديدة أصبحت فيها المقاربة الدينية هي المهيمنة في العلاقات الدولية.

يركز هذا البحث على دور الدبلوماسية الدينية في السياسة الداخلية والخارجية كدبلوماسية موازية للدبلوماسية الرسمية، وعلى آثارها في المجالات السياسية والأمنية من خلال الأدوار التي تمارسها بشكل مباشر أو غير مباشر عبر شبكة من العلاقات الرسمية وغير الرسمية التي تربطها بالقوى الأخرى الداخلية أو الخارجية، ويشير البحث أيضا الى دور التحولات التي رافقت العولمة والثورة التكنولوجية وكيفية إسهامها في تعظيم هذا النشاط ونموه، وقد تناول البحث نموذج المرجعية الدينية في العراق بعد عام 2003 كدراسة حالة عن الموضوع.

المقدمة:

نظمت معاهدة وستفاليا عام 1648 والتي أنهت بموجبها مرحلة حروب الثلاثين عاما في أوربا بين السلطة الدنيوية (السياسية) من جهة، والسلطة الدينية (سلطة الكنيسة) من جهة أخرى، لتبدأ مرحلة جديدة في القارة الأوربية بشكل خاص، وفي العلاقات الدولية بشكل عام، تمثلت في بروز الدولة القومية كفاعل

جديد ومهم في العلاقات الدولية، ولتضع حدا لتدخل سلطة الكنيسة في التدخل في الشؤون السياسية، وتؤسس لمبدأ فصل الدين عن الدولة حسب المنظور الغربي.

وعلى الرغم من الإغفال الظاهري لدور الدين في العلاقات الدولية لمرحلة لاحقة عن هذا التاريخ ، إلا أنه بالتحليل الدقيق نجد أن العديد من الصراعات في العالم يكون المغذي الرئيس لها هو "الدين والنظرية الدينية"، فبدأ بالولايات المتحدة نفسها والتي تؤدي "المسيحية الإنجيلية" دورها البارز في التأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، مرورا ب "اسرائيل"الدولة القائمة على أساس ديني وعنصري ، والسعودية التي تتبنى نهجا دينيا متطرفا، والثورة الإيرانية التي اندلعت على أسس جذورها دينية ووصفت ب "الثورة الإسلامية"، حيث تبنت المنهج الديني الأسلامي كأساس للدولة وكإستراتيجية لمشروعها العالمي، فضلا عما شهدته نهاية الحرب الباردة من صراعات دينية وإثنية في أكثر من مكان في العالم.

ولكن الإهتمام الفعلي بدور المقاربة الدينية لم يبرز بشكل صريح وواضح في الساحة الدولية إلا بعد أحداث 11 أيلول 2001، وعلى الرغم من الدراسات والأبحاث التي سبقت ورافقت نهاية الحرب الباردة والتي أثارت جدلا عن الصراعات المستقبلية بين الحضارات ودور الدين فيها (هنتغتون) أو غيرها، إلا أن هذه الرؤى كانت تدور في أوساط النخب المثقفة عبر العالم ، لذا كانت أحداث عام 2001 بداية جديدة لمرحلة أصبحت فيها المقاربة الدينية هي المهيمنة في العلاقات الدولية، وهذا ما دعا الى ظهور العديد من المفكرين الذين نظروا الى محورية الدين في حركية الأحداث في الساحة الدولية، وذلك من قبيل تعبير "غراهام فولر" بالقول: "حين يكون الدين مرتبطا بالسياسة، يجتمع معها عنصران هما من أكثر العناصر حيوية في الإهتمامات الإنسانية، ويستطيع التضافر بينهما أن يكون للأفضل أو للأسوأ، فالسياسة والدين كلاهما قد أستعمل الآخر بإستمرار عبر نسيج التاريخ، وفي الواقع فإنه من الغرابة أن تكون للسياسة القدرة في أي وقت من الأوقات أن تبقى غير مبالية بهذه القوة المحركة القوية مثل الدين بحجة الحيادية أو الإستقلالية"[1].

يركز هذا البحث على دور الدبلوماسية الدينية في الحفاظ على الأمن القومي من خلال الأدوار التي تمارسها بشكل مباشر أو غير مباشر عبر شبكة من العلاقات الرسمية وغير الرسمية التي تربطها بالقوى الأخرى الداخلية أو الخارجية، وكيف أسهمت التطورات التي رافقت العولمة والثورة التكنولوجية على تعظيم هذا النشاط، فضلا عن معرفة التحديات التي تواجه هذا الدور، وقد تطرق البحث الى دور المرجعية الدينية في العراق بعد عام 2003 كنموذج عن موضوع الدراسة.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في توضيح دور الدبلوماسية الدينية بشكل عام كفواعل غير حكومية في دعم المسار الحكومي أو التعويض عنه في بعض الجوانب السياسية، أو التخفيف من حدة الصراعات المختلفة الداخلية منها والخارجية أو الوقاية منها.

هدف البحث:

يهدف البحث الى تقديم رؤية بشأن دور الدبلوماسية الدينية كفاعل غير حكومي في الدعم السياسي أو الوقاية من الصراعات في مناطق مختلفة من العالم أو منع تفاقمها واستمرارها، وتحليل هذا الدور وأبعاده، وقد تم التطرق الى الدبلوماسية الدينية للمرجعية في العراق بعد عام في 2003 ودورها السلمي في مواجهة الإحتلال والحفاظ على السيادة والأمن القومي العراقي كنموذج على ذلك.

إشكالية البحث:

تتلخص إشكالية البحث في تفسير الدور المتنامي للقيادات الدينية كفاعل غير حكومي خلال العقود الأخيرة في السياسة الدولية، وقيامها بأدوار دبلوماسية موازية توظف فيها أساليب ووسائل القوة الناعمة، لغرض الوقاية أو المساهمة في معالجة الأزمات السياسية، أو تخفيف حدة النزاعات والصراعات للحفاظ على الأمن والسلم في مناطق مختلفة من العالم، وتكون هذه الأدوار في إطار التكامل مع دور الدولة، أو التعويض عنها كما في حال الدول الضعيفة أو الهشة.

فرضية البحث:

تنصب فرضية البحث على أنه: كلما كان للقيادات الدينية دور مهم في حل الأزمات السياسية أو المساهمة في التخفيف من حدة النزاعات والحد منها للحفاظ على السلم والأمن المجتمعي في أي مكان في العالم، فإن ذلك يؤشر قدرتها كفاعل غير حكومي على توظيف دور دبلوماسي موازي (بارادبلوماسي) تقوم به لدعم دور الدولة أو التعويض عنه.

منهجية البحث:

إعتمد البحث المنهج الإستقرائي في تتبع المواقف والفتاوى والبيانات واللقاءات وغيرها من الأنشطة، فضلا عن إعتماد المقترب الوصفي والتحليلي لغرض إثبات صحة فرضية البحث.

هيكلية البحث:: تم تقسيم البحث الى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة تضمنت عددا من الإستنتاجات والتوصيات.

المحور الأول: مفهوم الدبلوماسية الدينية

يختلف دور الدين في السياسة الخارجية للدول بناء على إختلافها في مدى تبني النظرية الدينية في منهاجها السياسي من عدمه، كما يشير مفهوم الدبلوماسية الدينية الى صورة من صور التأثير المشار اليه آنفا، وكذلك تأثيره في سلوك دبلوماسييها، والواقع أن الدين لم يكن بعيدا عن حقل السياسة أو الدبلوماسية فيما مضى، ولكن الجديد هو طريقة توظيفه وحضوره في السياسة في العقود الأخيرة. فرغم أن المدرسة الواقعية لم تعطِ قيمة لدور الدين في الحياة السياسية، وهي النظرية التي هيمنت على توجهات السياسة الخارجية للولايات المتحدة لعقود في القرن الماضي ، إلا أن التحولات الأخيرة أظهرت بشكل واضح مدى أهمية الدور الذي يلعبه الدين في السياسة الخارجية كمتغير مستقل او متغير تابع[2].

ويشير في هذا المجال بعض المختصين في العلاقات الدولية، الى أن المقصود بهوية العامل الديني في العلاقات الدولية هو: "جميع ما تعتنقه الفواعل التي تقوم عليها العلاقات الرسمية وغير الرسمية وتؤمن به من مبادئ واحكام تضبط ممارستها فكرا وسلوكا، قولا وفعلا، وتحكم توجهاتها، سواء أكانت تلك المبادئ والأحكام في الرسالات السماوية، أم كونها رؤى فلسفية وايديولوجية، أم موروثات ثقافية وتاريخية تمثل هويتها الإجتماعية أو تدينها الشعبي"[3]، وبالتالي ليس المقصود أن تكون الدبلوماسية الدينية بديلا عن الدبلوماسية التقليدية، وانما تكون أحد الأدوات أو الوسائل غير الرسمية الداعمة لعملها والمكملة لجهودها الرسمية، ويأتي ذلك نتيجة التوسع الحاصل في أدوار الفاعلين غير الرسميين في الساحة الدولية في العقود الأخيرة.

وقد لاحظ الباحث (هيستون سميث) المتخصص في الدراسات الدينية أن "أضمن طريق الى قلب الآخرين هو من خلال دينهم"، وفي ذلك إشارة الى أهمية وضع الدين في قلب الإستراتيجية الدبلوماسية، ولاسيما الدبلوماسية العامة. ولكن هذا الدور يختلف إختلافا كبيرا من دولة الى أخرى عبر العالم، فهو بالنسبة الى بعض البلدان يعد جزءا أساسيا في السياسة الخارجية ، مثل: الفاتيكان والسعودية وايران، وفي بلدان أخرى يتم وضعه في السياسة الخارجية بحذر، فهذا يعتمد بالنتيجة على طبيعة الدولة والثقافة، فقد يكون الفصل بين اللاهوتي والسياسي أمرا أساسيا ، أو قد لا يكون مثل هذا الإنقسام موجودا على الإطلاق[4].

وقديما إستخدم الروم الكاثوليك الدبلوماسية الدينية بشكل علني من خلال إرسال المبعوثين البابويين للكنيسة الى باقي الدول آنذاك، وفي العقود الأخيرة

استخدم اثنان من البابوات (يوحنا بولس الثاني، فرانسيس) الدبلوماسية الدينية بقوة من خلال توظيف وسائل التواصل الإجتماعي الحديثة مما جعل الفاتيكان أكثر حضورا وتأثيرا في الشؤون العالمية للتعامل مع التهديدات الجديدة كالإحتباس الحراري* والصراعات الداخلية وقضايا الإرهاب والجريمة المنظمة وغيرها، فضلا عن الإستفادة من الظهور في وسائل الإعلام العالمية، فعلى سبيل المثال يبلغ عدد المتابعين للبابا على تويتر ما يقرب السبعة ملايين متابع عبر العالم، وهو بلا شك يعني الكثير في مجال التأثير كرأي عام[5].

وقد أشار ميكافيللي في مقولة شهيرة الى أهمية الدين للدولة، إذ وصفه بالقول: "بداية الإنحلال في الدولة وبداية زوالها حينما يبدأ قادتها بإحتقار الشعائر الدينية للشعب"[6] ، وعلى الرغم من تفاوت المدارس الليبرالية أو اليسارية في نظرتها للدين وفي تفسيرها لنصوصه، فإن إهمال هذا العامل قد يفوت الكثير من الحقائق المهمة في تفسير سلوك ومجريات الأحداث على الساحة العالمية، فالمدخل الى فهم ثقافة الشعوب يكون من خلال إدراك ومعرفة قيمها الدينية والأخلاقية، ومعرفة عاداتها وتقاليدها وتراثها عبر الأجيال. وفضلا عن ذلك، ففي العقود الأخيرة كانت هناك أحداث هامة مثل أحداث 11 أيلول 2001 في الولايات المتحدة، والتي أعادت للدين أهميته الجيوسياسية، إذ أصبحت الظاهرة الدينية عنصرا هاما وفاعلا في العلاقات الدولية، بما لم يعد من الممكن معه إغفال أهميته عند التخطيط ورسم السياسة الخارجية للدولة.

ولم يكن (جوزيف ناي) بعيدا عن هذه المقاربة لأهمية العامل الديني في العلاقات الدولية عندما ناقش في كتابه (القوة الناعمة) أهمية استخدام عوامل الجذب في هذه العلاقات عبر الدبلوماسية ومن خلال الإهتمام بعوامل الإبتكار في زيادة الإتصالات المباشرة ، والإهتمام ببرامج التبادل الثقافي والمبادلات التعليمية، ويستشهد بذلك في تقييم "ميخائيل هولتزمان" للدبلوماسية الأميركية في الشرق الأوسط بالقول:" لكي تحظى الدبلوماسية العامة بمصداقية فيما يسمى بالشارع العربي، ينبغي ان تتوجه بشكل رئيس الى مجالات الحياة اليومية، فواشنطن ينبغي أن تصرف أموالها على مساعدة الأطباء، والمعلمين، ورجال الأعمال، وزعماء الدين الأميركيين، والفرق الرياضية والفنية ، على الذهاب الى الخارج وتقديم كل أنواع الخدمات التي تتلهف عليها شعوب الشرق الأوسط"[7].

وبذلك فإن الأثر التي تركه الدين في العلاقات الدولية كان متضاربا ، فمن ناحية كان له أثر إيجابي عندما ألهمت الأديان السماوية متمثلة بالإسلام

والمسيحية واليهودية الأنشطة والجوانب الإنسانية لدى الحكام والمحكومين على السواء، بما أسهم بشكل كبير في إثراء الجوانب الإنسانية في المجتمع، مثل: حركة إلغاء الرق، وإنشاء منظمة الصليب والهلال الأحمر الدولي، والحركات الدينية عبر التاريخ لنبذ ومقاومة الظاهرة الإستعمارية ومقارعة الفاشية في مناطق كثيرة من العالم. ومن ناحية أخرى مثلت الجهات المتطرفة في جميع الأديان الدافع للعديد من الحروب والنزاعات بين الدول وفي داخلها ، ولكن على المدى البعيد ، يمثل التأثير الروحي للدين الدافع الأكبر نحو تنمية وترسيخ السلم في المجتمعات وحماية حقوق الإنسان وتوجيه الرأي العام العالمي نحو توفير المعونة والدعم للبلدان الفقيرة في العالم، وهو ما يكون عاملا مهما في القضاء على الأسباب الحقيقية التي تدفع الأفراد في هذه المجتمعات للإنخراط في صفوف الجماعات المسلحة وعصابات الجريمة المنظمة[8].

وعلى الرغم مما تقدم، فلا يزال موضوع إرتباط الدين والهويات الدينية بالسياسة الخارجية والعمل الدبلوماسي من المواضيع التي لم يتم تغطيتها بالشكل المطلوب، حيث أشار قسم من الدراسات الى أن: "الدين قد أصبح أحد العوامل الأكثر تأثيرا في الشؤون العالمية في الجيل الماضي، لكنه لا يزال العامل الأقل دراسة من حيث التأثير في الشؤون العالمية، وإن تأثير الدين في السياسة العالمية نابع من إرتفاع النسبة المئوية لسكان العالم الذين يعتنقون الأديان من 50% عام 1900، الى 64% عام 2000، لقد أصبح الدين غالبا – نبويا – ومقاوما للسياسيين على كل المستويات"[9].

وفضلا عن غير ذلك من الأسباب الإجتماعية والإقتصادية، فإن العامل الديني يؤدي اليوم دورا أساسيا في إعادة تشكيل خريطة العالم ولا سيما في الأقاليم الإستراتيجية منه، وذلك بفعل التنافس الدولي الجاري بين القوى الكبرى، وهو كما ينشط على خط المواجهة والقتال، فإنه ينشط أيضا على جانب الأمن والسلام.

المحور الثاني: الدبلوماسية الدينية في العلاقات الدولية

مرت الدبلوماسية بمراحل مختلفة من النمو والإزدهار أو التراجع على مر العصور، ففي العصر القديم في وادي الرافدين والنيل، وفي حضارات الصين والهند القديمة كانت الدبلوماسية موضع إهتمام الملوك والأمراء وشهدت ممارسات دبلوماسية متقدمة كإرسال واستقبال المبعوثين، وتعيين السفراء ذوي السمعة الحسنة والثقافة العالية، وكان الإهتمام بتنظيم العلاقات وعقد معاهدات

الصداقة هو الهدف الذي تسعى لها تلك الحضارات، وكانت حرمة المبعوثين مصانة، وربما كانت قوة الدين وإسباغ صفة الإله أو أنصاف الإله على الحكام أحد الدعائم التي رسخت من قوة ممثليهم أو مبعوثيهم وزيادة إحترامهم والإهتمام بهم[10]. وعلى العكس من ذلك، لم يكن الحال في العصر الوسيط كذلك، فقد تدهور دور الدبلوماسية ولم يتم اللجوء الى إستخدامها الا في أطر ضيقة بسبب الحروب والنزاعات التي دامت لفترة طويلة بين طبقة الإقطاعيين وطبقة الملوك من جهة، وبين سلطة البابا الدينية من جهة أخرى، مما أدى الى إنتهاك حرمة السفراء مرارا وفي مناسبات كثيرة بعد أن كانت مقدسة فيما مضى، وذهب الإطار الضيق في استخدام الدبلوماسية خلال القرون الوسطى الى إستخدامها لغايات مصلحية تهدف الى تحقيق الغلبة على العدو، وتسبق شن الحروب والغارات[11]، ولعل استهداف السلطة الدينية (سلطة البابا) من قبل سلطتي الملوك والإقطاعيين قد أضعف من دور الدبلوماسية وهيبة السفراء نتيجة ضعف السلطان الديني الذي كان يضفي قدرا كبيرا من الإحترام والوقار لدور السفراء في العصر القديم.

وفي العصر العربي الإسلامي تطورت الدبلوماسية من مفهومها التجاري في الجاهلية ، والتي إتسمت بها نتيجة الظروف الإقتصادية والمعاشية السائدة آنذاك، الى مفهوم جديد ذو بعد سياسي واجتماعي في عصر الرسول (ص) ، إذ أصبحت وسيلة فاعلة لبناء العلاقات مع الحضارات الأخرى وتبادل السفراء، واستمر الحال في عهد الخلافة ، والعصرين الأموي والعباسي ، حيث تطورت الدبلوماسية بشكل أكبر واصبح لها تقاليد دقيقة[12] ، وأضحت أحد الأدوات المهمة التي تعبر عن التوازن بين القوى القائم آنذاك.

وقد بعث الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) السفراء والمبعوثين الى ملوك وحكام البلدان المجاورة مثل كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم ن والنجاشي ملك الحبشة، والى "أكيدر دومة" وهو حاكم نصراني من بني كنانة، والى كل جبار يدعوهم فيها الى الإيمان بالله الواحد الأحد[13].

وكانت من أهم الآثار التي أضفتها الحضارة الإسلامية على الدبلوماسية، ما يأتي[14]:

1- تحول صفة التمثيل من الحالة المؤقتة الى الحالة الدائمة.
2- تشكيل جهاز دبلوماسي يرتبط بديوان الرسائل الذي كانت تصدر عنه الكتب والرسائل الى الدول الأجنبية.
3- استخدام لغة دبلوماسية خاصة في التعامل مع الدول.

4- وضع شروط لإختيار السفراء بأن يكونوا ممن يمتازون بعلمهم وفضلهم ومكانتهم الرفيعة في المجتمع.
5- منح الدبلوماسيين جوازات خاصة (أوراق طريق)، يذكر فيها أسم الدبلوماسي ولقبه وعمله ومهمته، والطلب بتسهيل مهمته وانتقاله واستقباله.
6- تثبيت قواعد الحصانة الدبلوماسية للسفراء والمبعوثين، وكان يطلق عليها العرب والمسلمون (الأمان).
7- إحترام الدولة العربية الإسلامية حرية عبادة وديانة السفراء والممثلين الأجانب.

أما بالنسبة للدبلوماسية الحديثة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى إنهيار الإتحاد السوفيتي في 1991، فقد تميزت بالخصائص الآتية[15]:

1- الإنتقال من الحقوق القومية المطلقة الى فكرة المصالح المشتركة التي فرضتها ظروف العولمة والثورة في التكنولوجيا والإتصالات.
2- إزدياد التقدير لأهمية الرأي العام وما ترتب عليه من خضوع الحكومات لرقابة الشعوب.
3- زيادة الإرتباط بين الرأي العام الداخلي والخارجي بسبب نمو الإتصالات.
4- ساهم التطور التقني والتكنولوجي بتسهيل مهام الدبلوماسي ، وتطور الدبلوماسية من جهة ، وبتقليص مهام الدبلوماسية من جهة اخرى نتيجة ظهور أنواع جديدة منها، كالدبلوماسية المتخصصة ، ودبلوماسية القمة ، والدبلوماسية الدينية وغيرها.
5- ساهمت الأشكال الجديدة من الدبلوماسية في إنتقالها من الدبلوماسية السرية الى الدبلوماسية العلنية.

وفي العقود الأخيرة، فرض تزايد الأزمات المحلية والإقليمية والدولية، فضلا عن تشابك القضايا السياسية، وتعقد العمل الدبلوماسي، الى المساعدة أيضا في نمو وتطور الأشكال الجديدة للدبلوماسية المذكورة آنفا، وذلك بغية مواجهة المتغيرات السريعة في الساحة الدولية، وأخذ يطلق عليها أسم الدبلوماسية الموازية، في إشارة الى دورها التكاملي مع الدبلوماسية الرسمية المحترفة، حيث مورست من قبل الفاعلين الجدد من غير الدول (ومنها القيادات الدينية) وأدت أدوارا مهمة وفاعلة في العلاقات الدولية، من قبيل حل النزاعات والحد من تفاقمها، أو العمل على حل وتصفير الأزمات السياسية، لتعوض بذلك عن الفراغات أو القصور الذي تتركه الدبلوماسية الرسمية لسبب أو لآخر[16].

ويفسر عدد من الباحثين في السياسة الدولية، الى أن تسييس الدين وتدين السياسة وخاصة في البيئة الدولية الحالية، هو دليل على الدور المتنامي للدين في الدبلوماسية كفرصة لقيام إلتزامات متبادلة بشأن وضع حلول للأزمات الكبيرة، وهي تعبر عن الأدوار التي أخذت تنشط فيها الجهات الفاعلة من غير الدول في العقود الأخيرة، ويؤدي القادة الروحيون دورا كبيرا في مجتمعاتهم لتحفيز الأفراد على إتخاذ مواقف إيجابية وبناءة من خلال فهم العالم من حولهم، وبالتالي من الأهمية بمكان للجهات الحكومية أن تتحول المشورة والتواصل مع القادة الروحيين والدينيين الى سياق مستدام، ومظهر من مظاهر التوعية الدبلوماسية، كنوع من دبلوماسية المسار الثاني[17] لغرض تحقيق الأهداف التي تطمح لها المجتمعات[18].

وفي سياق آخر، فقد ذهب قسم من المختصين في العلاقات الدولية الى إعتبار الجماعات الدينية الدعوية أحد أبرز هذه الجهات التي تؤدي أدوارا موازية للدولة ، وذات طابع عبر وطني عابر للحدود، حيث قسموا الفاعلين الجدد من غير الدول الى عدد من الفئات الرئيسية ، منها[19]:

1- الجماعات الإقليمية Territorial Groups
2- الجماعات الدعوية (الدينية) Proselytizers
3- جماعات أعمال المعرفة Knowledge Business
4- الجماعات الإقتصادية Economic Groups

بالإضافة الى الأفراد الذين تصاعد تأثيرهم كفاعل سياسي في نطاقات عدة، سياسية واقتصادية واعلامية، متجاوزة النطاقات الرسمية التقليدية.

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر في هذا المجال عن الدبلوماسية الدينية، هو دور قائد الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني الراحل في دعوته القيادة السوفيتية الى عدد من المقترحات عبر رسالته التي أرسلها الى غورباتشوف بداية عام 1989 للخروج من المشاكل المتفاقمة للإتحاد السوفيتي آنذاك، والتي كانت تنذر بقرب تفككه وإنهياره، حيث حذر القادة السوفيت من الإتكاء على الغرب لحل مشاكلهم، ودعاهم الى الإستفادة من حكمة وفلسفة الدين الإسلامي، وإتاحة الحريات للشعوب الإسلامية الموجودة في الإتحاد السوفيتي لممارسة عقيدتهم وطقوسهم بعيدا عن القمع والإضطهاد، وقد فاجئت تلك الرسالة وما تضمنته من تشخيص دقيق لحالة الإتحاد السوفيتي ومشاكله الداخلية والخارجية المختلفة التي يعاني منها، القيادة السوفيتية من النظرة السياسية الثاقبة للإمام الخميني وفي طريقة ونوعية الحلول التي إقترحها ونصح بها القادة السوفيت للخروج من أزماتهم

المتفاقمة التي عانوها في تلك المرحلة، والتي قال عنها غورباتشوف لاحقا بعد حوالي عشر سنوات: "لو كنا نتوجه الى ما كان يراه الإمام الخميني (بالنسبة لمستقبل الإتحاد السوفيتي)، ونأخذ تحذيراته بعين الإعتبار، لما أصابنا هذا المصير المشؤوم"[20].

كذلك حظيت دعوة السيد الخامنئي بتحريم إستخدام السلاح النووي ترحيبا كبيرا لدى العديد من المختصين في الولايات المتحدة، اذ يعتبر هذا التحريم من أساسيات الإلتزام بالدين الإسلامي ونهيه عن كل ما يسبب الإضرار للآخرين، وهو ما يعضد الجهود الرامية الى نزع السلاح النووي والحد من إنتشاره، ودعا هؤلاء المختصين الى المزيد من التعاون الدبلوماسي المكثف مع القيادة الإيرانية لتحقيق هذا الإلتزام[21].

ومن وجهة نظر دبلوماسية، يشكل التوتر الدولي الناجم عن برنامج ايران النووي ، دافعا لتصدر دور الدين والقادة الروحيين في السياسة الدولية، اذ أن النظام السياسي في إيران متأصل في بيئة سياسية دينية، لذا فإن إنخراط رجال الدين في مثل هكذا ملفات حساسة، تبرز بشكل جلي مخاطر هذا الدور وفرصه على حد سواء في وضع حلول ناجزة تدفع خطر المواجهة بين الأطراف المتصارعة، وتزيد من فرص الحفاظ على الأمن والسلام[22].

ومن الأمثلة الأخرى المهمة في هذا السياق ، هو اللقاء التاريخي للبابا بالسيد السيستاني في النجف في بداية آذار 2021 ، فقد شكل دلالة كبيرة على أهمية دور القيادات الدينية الرئيسة في العالم للتصدي في حل المشاكل المستعصية التي تعاني منها الإنسانية، والتي عجزت الدول عن وضع الحلول الناجزة لها ومنها معاناة الشعب الفلسطيني تحت الإحتلال الصهيوني، إذ "دار الحديث خلال اللقاء مع بابا الفاتيكان حول التحديات الكبيرة التي تواجهها الإنسانية في هذا العصر ودور الإيمان بالله تعالى وبرسالاته والإلتزام بالقيم الأخلاقية السامية في التغلب عليها"[23].

وقد عزى البعض من المختصين في العلاقات الدولية في بحثهم عن أسباب تنامي الظاهرة الدينية في السياسة الدولية الى زيادة أدوار الجماعات الجهادية والتكفيرية في العقود الأخيرة، وقد شكل صعود تنظيم القاعدة و داعش ISIS، الى حفز تصاعد هوية الجيوبوليتيك الديني في العلاقات الدولية، وهو ما يرجع الى عدد من الأسباب ، من أهمها[24]:

1- زيادة نشاط الجماعات الدينية كفاعلين غير رسميين في الساحة الدولية بفعل العولمة والثورة التكنولوجية وما رافقها من تحولات.

2- تنامي ظاهرة الرمزيات الدينية الفردية في الساحة الدولية، بإعتبارهم نماذج أخرى من الفاعلين غير الحكوميين الذين يحظون بإحترام أتباعهم في العالم.
3- تزايد الصراعات المستندة الى الهويات الدينية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، سواء الداخلية منها أم الدولية ن وذلك لأسباب تعود الى المتغيرات التي رافقت نهاية الحرب الباردة.
4- تصاعد دور الحركات الإسلامية الأصولية الجهادية كرد فعل حمائي ضد الغزو الثقافي والعسكري الذي يستهدف العالم الإسلامي من قبل الولايات المتحدة وحلفاؤها.

ومن وجهة نظر أخرى، يمكن إعتبار الدبلوماسية الدينية أيضا في بعض حالاتها (كما يعتقد الباحث) صورة من صور الدبلوماسية الوقائية إذا جاءت قبل حدوث الأزمة أو في بداياتها لمنع تفاقمها، والتي أخذت تنهض بها اليوم بالإضافة الى المرجعيات والقيادات الدينية في العالم، جهات عديدة أخرى من الفاعلين الجدد كالمنظمات الإقليمية ومنظمات المجتمع المدني والأفراد وذلك عبر حزمة من الأدوات المبتكرة واسعة النطاق التي تستفيد من الدعم العالمي لهذه الجهود لغرض تكاملها مع الجهود الرسمية للدول والمنظمات الدولية، والتي أسفرت عن العديد من الحلول السلمية في مناطق النزاع في العالم، كما في بعض الدول الأفريقية ودول آسيا الوسطى وغيرها، حيث ساعدت في إستدامة عمليات سياسية معقدة لبناء وحفظ السلام[25].

المحور الثالث: الدبلوماسية الدينية في العراق بعد عام 2003 الأدوار والتحديات

أدى سقوط النظام السياسي السابق في العراق بفعل الإحتلال الأميركي وحلفاؤه عام 2003 الى بروز قوى أجتماعية ودينية وعشائرية الى العلن بوصفها قوى فاعلة في المجتمع، لتحل كبديل متوقع عن غياب سلطة الدولة، وقد أدى حظور الزعامات الدينية في الساحة العراقية وبالأخص المرجعية الدينية في النجف بعد عام 2003 ، الى إعادة الجدل المتمثل بعلاقة الدين بالدولة ، وكانت المرجعية حذرة في التعامل مع الواقع الجديد ، وتتحرك بخطوات محسوبة بدقة ، ففي الوقت الذي يستمر دورها الطبيعي في العطاء العلمي والفقهي عن طريق الحوزة العلمية ، فإنها كانت تقدم النصح والإرشاد للقوى السياسية الجديدة المتصدية في الساحة عن كيفية الحفاظ على وحدة العراق وشعبه وهويته الوطنية ، وعلى المساعدة في وضع خارطة طريق لإستعادة السيادة العراقية وكتابة دستور جديد

للبلاد بواسطة سلطات منتخبة من قبل الشعب عبر إنتخابات عادلة ونزيهة وبمساعدة ودعم الأمم المتحدة[26].

تحظى المرجعية الدينية بشكل عام بإحترام كبير لدى أتباعها ، وكانت عبر تأريخها الطويل ملهمة للعديد من الثورات ضد الإستعمار البريطاني وغيره من القوى الكبرى، ولا شك أن الأمثلة كثيرة ، مثل (ثورة التنباك)* في ايران عام 1891م، وكذلك ثورة العشرين في العراق عام 1920م ضد الإحتلال البريطاني، وبذلك فقد تغير دور المرجع من مجرد فقيه يعمل على إصدار الفتاوى وتسوية الخلافات الشرعية الى مرشد في الحياة السياسية والإجتماعية[27].

ومن هذا المنطلق، لم يكن دور المرجعية الدينية في العراق بعد عام 2003 مجرد عمل فكري، بل كان دورا إستراتيجيا مهما للغاية، حيث وضع الخطوات الأساسية لإستعادة السيادة العراقية إستنادا الى قواعد القانون الدولي، وبرهنت من خلال ذلك على إن الفاعلين الدينيين يمكن أن يعملوا (بخلاف ما يروجه الغرب) الشئ الكثير ، فكانت بحق أدوات للتغيير والإصلاح الإجتماعي بطريقة أذهلت الغرب وفاجئتهم بإمكانيات غير متوقعة من القدرة على السيطرة على قطاعات واسعة من المجتمع ، وبث روح الأمل والوحدة فيما بينهم[28].

ولعل أبرز عناصر القوة التي تتمتع بها المرجعية الدينية للقيام بدور فاعل في حل الأزمات المختلفة بعد عام 2003 هو توظيفها أساليب القوة الناعمة مثل (الجذب الثقافي، التأثير الروحي، الدبلوماسية الدينية، وغيرها) في التأثير ، ويأتي ذلك من خلال عدد من المميزات والمواصفات من أبرزها[29] :

1- إمتلاك المرجعية الدينية لمكانة وإحترام كبيرين لدى السلطات الرسمية وغير الرسمية على السواء في المجتمع، وذلك لما تتسم به من مكانة روحية سامية ، وتمسك بالقيم الإنسانية والدينية، وسعيها لخدمة المجتمع واصلاحه.
2- تتمتع المرجعية الدينية في العراق بعلاقات واسعة محليا واقليميا ودوليا وعلى كافة المستويات الرسمية وغير الرسمية، حيث ينتشر اتباعها في مناطق عديدة من العالم وترتبط معهم عبر شبكة واسعة من الوكلاء والمعتمدين لمتابعة شؤونهم الدينية والإجتماعية وغيرها.
3- المرجعية الدينية لها باع كبير في جميع فروع المعرفة، وتعد الحوزات العلمية ومراكز الفكر التي تشرف عليها بمثابة صروح أكاديمية لتخريج طلاب العلوم الدينية ، فضلا عن إمتلاكها لمهارات واسعة في الحوار ، والتفاوض، والإقناع، والفصل بين الخصوم وغير ذلك، والتي تؤهلها بالنتيجة للقيام بأدوار واسعة

لحل الأزمات وابتكار الحلول للمشاكل الإجتماعية والسياسية بطريقة دبلوماسية.

4- لا تطمح المرجعية الدينية في العراق بالوصول الى السلطة السياسية الدنيوية، إذ لا ترى لنفسها الولاية على الأمة (الشعب) في الشؤون السياسية واختيار الحاكم، بل ترى أن ذلك من صميم مسؤولية الأمة (حسب نظرية ولاية الأمة على نفسها)، وبالتالي فهي لا تتفق في هذا المجال مع نظرية (ولاية الفقيه) كما في النموذج الإيراني.

وبالرغم من هذه المزايا وعناصر القوة التي تتمتع بها المرجعية الدينية في العراق، إلا أنه بالمقابل هناك تحديات تواجه الأدوار التي تقوم بها في المجتمع ، من أبرزها[30]:

1- عدم إمتلاك المرجعية الدينية لوسائل القوة والإكراه كالتي تمتلكها الدول والتي تعزز من قدرتها ومكانتها عند قيامها بأدوارها الإجتماعية المتنوعة[31]، وهي ترتكز أساسا على مكانتها الروحية، واحترام المجتمع لها، ونظرة الجميع لها كطرف محايد.

2- تلتزم المرجعية الدينية بمبادئ الأخلاق والإستقامة في عملها وتصرفاتها على الدوام، وهذا ما يجعل منها غير قادرة أحيانا على التعامل مع بعض الأزمات والمشاكل السياسية بسبب إتباع الأطراف الأخرى لأساليب الكذب والمكر والدهاء والتي أعتبرت طويلا أحد مميزات العمل السياسي والدبلوماسي .

3- تؤثر ظاهرة تعدد مرجعيات وشخصيات دينية جديدة وغير مشهورة الى حد ما، ومحاولتها منافسة دور المرجعيات المعروفة في العراق، الى التأثير في الدور الذي تؤديه الأخيرة في المجتمع وعدم إدراك وإستيعاب جميع أبعاده خاصة عند المستويات العامة والبسيطة منه، إذ لا تتمكن من التمييز بين هذه المرجعيات بشكل دقيق وعلمي.

ومع وجود هذه التحديات وغيرها، إستطاعت المرجعية الدينية في النجف من خلال تصديها للأدوار الأساسية لحفظ وحدة العراق، ووحدة شعبه وأرضه، حسم الموقف تجاه العديد من القضايا المؤثرة على الواقع السياسي والأمني بشكل مباشر أو غير مباشر، وكانت دقيقة في تشخيص الظرف والوقت اللازمين لإتخاذ أي موقف، ولعل من أهم هذه القضايا[32]:

1- حسمت المرجعية الدينية جدلية العلاقة بين الدين والدولة من خلال عدم تبنيها لفكرة الدولة الدينية (وفق أي نموذج ديني متصور)، مع الإقرار بأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وأنه مصدر أساس للتشريع، وتأكيدها على إحترم الثوابت

الدينية للجميع، وإن نظام الحكم في العراق جمهوري نيابي ديمقراطي، يتم تداول السلطة فيه سلميا بالوسائل الديمقراطية من خلال إنتخاب الشعب لممثليهم في مجلس النواب وبإرادتهم الحرة[33].

2- أكدت المرجعية الدينية على ضرورة احترام القانون والحفاظ على الممتلكات العامة، وذلك بعد مرحلة سقوط النظام السابق، وتعطل أجهزة الدولة وحل الجيش والشرطة وأجهزة الأمن، وما أسفر عن ذلك من فوضى أمنية وحالات سلبية من التعدي على أملاك الدولة ومؤسساتها العامة، حيث أفتت المرجعية بحرمة المال العام لأنه ملك لجميع العراقيين، ولا يحق لأي جهة أو فرد التصرف بها.

3- أشارت المرجعية الدينية بشكل مستمر عبر خطبها ووكلائها الى أهمية تعزيز الوحدة الوطنية، وتجنب الإقتتال الداخلي، وحرمة الدم العراقي، وخاصة بعد حادثة تفجير الإمامين العسكريين إذ أصبح المجتمع على حافة حرب أهلية لا تبقي ولا تذر، لكن حكمة المرجعية ألزمت الجميع بالهدوء وضبط النفس وعدم جواز اللجوء الى القتل والإنتقام العشوائي، وأكدت على مرجعية الدولة في الحفاظ على الأمن والإستقرار.

4- دعمت المرجعية الدينية العملية الديمقراطية في العراق لغرض قيام الشعب بإنتخاب ممثليه عبر إنتخابات حرة ونزيهة، كذلك أكدت على ضرورة الإصلاح السياسي المستمر لغرض تقويم العملية السياسية ، ودعمت الإحتجاجات الشعبية المطالبة بالإصلاح ومحاسبة الفاسدين وتقديم الخدمات العامة ، وهو ما كان له الأثر الكبير في توجيه المطالبات الشعبية بالشكل الصحيح عن طريق التظاهر السلمي والإبتعاد عن العنف.

5- كانت لفتوى الجهاد الكفائي التي أطلقتها المرجعية الدينية بعد إحتلال داعش لعدد من المحافظات العراقية وارتكابها أفظع المجازر والجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية، عظيم الأثر في إستجابة جميع العراقيين للذود عن حرمة أرضهم وشعبهم ، متمثلة بالصور البطولية التي سطرتها القوات الأمنية العراقية بجميع أصنافها مدعومة بالحشد الشعبي ، وما قدمته من قوافل الشهداء لتحرير الأرض العراقية من رجس هذه العصابات الإجرامية.

ولعل من أهم وأبرز مساهمات المرجعية بعد عام 2003 عن طريق توظيف الدبلوماسية الدينية ، هي المحافظة على وحدة العراق ورسم خارطة طريق لإستعادة السيادة والحفاظ على السلم والأمن المجتمعي عبر إجهاضها لكافة

المشاريع الإستراتيجية لقوى الإحتلال التي خططت لها وكانت تريد تنفيذها في العراق، وساهم الضغط المتواصل للمرجعية من خلال المواقف المدروسة والفاعلة في تكوين رأي عام داخلي ودولي أسهم في نقل قسم من السلطات الفعلية من القوات المحتلة الى الأمم المتحدة، والتي نتج عنها إصدار مجلس الأمن لسلسلة من القرارات المهمة[34] طبقا لرؤية المرجعية الدينية فيما ينبغي أن يكون عليه العمل في الواقع من أجل إيصال البلد الى شاطئ الأمان ، وتم ذلك من خلال الآتي[35]:

1- رفض التعامل مع قوات الإحتلال أو اللقاء بهم أو بقياداتهم.
2- الرفض المستمر لخطط المحتل وأساليبه في إدارة البلد من الناحيتين السياسية والأمنية.
3- تدويل القضية العراقية وسحب السلطة من القوات المحتلة الى الأمم المتحدة.
4- مقاومة الإحتلال سلميا وعن طريق توظيف الوسائل الدبلوماسية وفق رؤية مدروسة ومتكاملة.
5- التأكيد على دور الشعب العراقي في إختيار السلطة التي يرغب بها عن طريق إنتخابات حرة ونزيهة.
6- كانت للمرجعية الدينية ودبلوماسيتها الرفيعة الدور الأهم في إنهاء كافة مبررات وجود قوات الإحتلال، والذي مهد فيما بعد لإخراج قواتها العسكرية من العراق.

وفي المراحل اللاحقة، استمر موقف المرجعية المساند لمصلحة الشعب العراقي حتى بعد أن استقر شكل النظام من الناحية السياسية عبر عمليات التداول السلمي للسلطة، "وعلى الرغم من أهمية دورها هذا، إلا أنه لم يكن ليجرد الأحزاب والتيارات من ممارسة حقها الطبيعي في تشكيل العملية السياسية، وإنما كان يمر على شكل نصائح وارشادات توجهها المرجعية للقوى السياسية بلسان عقلاني بعيد عن التشنج والإنحياز، ولهذا إتسم دور المرجعية بالحكمة، فهي لا تتدخل في تفاصيل العملية السياسية ولا تنأى بنفسها تماما"[36].

وقد أدى هذا التعاطي الدقيق والمتزن مع الأحداث السياسية الشائكة في العراق، الى حيازتها التقدير والإحترام من قبل المجتمع الإقليمي والدولي، والتي أقرت بأن السيد السيستاني يعتبر صمام أمان حقيقي لحماية مصالح العراق وشعبه، وقد جاء ذلك في العديد من الإشارات في التقارير والصحف والتصريحات العالمية، منها على سبيل المثال : "نشر مقال في صحيفة التلغراف البريطانية في 2014/11/1 بعنوان: (إنسوا أوباما والإتحاد الأوربي، إن الرجل الذي ينبغي أن ينال جائزة نوبل

للسلام هو رجل دين عراقي)، حيث طرح الكاتب كولن فريمان في هذا المقال أدلة متعددة على استحقاق السيد السيستاني لجائزة نوبل للسلام"[37].

وبالإضافة الى أهمية كل الأدوار المذكورة آنفا، والتي قامت بها المرجعية الدينية بعد عام 2003، فإن دورها التي قامت به في دعم التظاهرات الشعبية المطالبة بالإصلاح في مطلع تشرين الأول عام 2019 كان دورا في غاية الأهمية، إذ أولتها عناية خاصة حيث أصدر مكتب المرجعية ولأول مرة عددا متلاحقا من البيانات بلغ عددها 16 بيانا الى جانب ثلاث تصريحات رسمية متفرقة، حيث وصفتها ب (معركة الإصلاح) التي لا تقل أهمية عن المعركة ضد قوى الشر والظلام (القاعدة وداعش) التي خاضها العراقيون خلال السنوات السابقة، كما وصف من سقط خلال هذه التظاهرات بالشهداء، وهذا ما أكسب التظاهرات زخما كبيرا وأعطاها المشروعية في الضغط على الحكومة والبرلمان للإستجابة لمطالب المتظاهرين[38].

أما بالنسبة للوسائل والأدوات المستخدمة للتأثير، فإن الملاحظ أن المرجعية الدينية في النجف قد طورت من أداءها أيضا وتكيفت مع الواقع العالمي، حيث وظفت وبشكل فاعل أدوات الثورة التكنولوجية الحديثة في نشر وتعظيم نشاطها الفكري والثقافي والإجتماعي على كافة الأصعدة، كجزء من قوة ناعمة تستهدف تحقيق التأثير في الواقع، كما وحرصت المرجعية أن يكون لديها حضور لافت على الأنترنت أيضا[39]، ويشير الجدول رقم (1) الآتي الى مواقع الأنترنت الخاصة بالمرجعيات الكبيرة في مدينة النجف، وعدد اللغات التي تترجم اليها المواد المنشورة عبر هذه المواقع، ويلاحظ من خلال الجدول حجم الإنتشار الكبير والتأثير لمرجعية السيد السيستاني في العراق والعالم ، فضلا عن إشراف المرجعية على عدد من الفضائيات الدينية، وبذلك تسجل المرجعية حضورها الدائم عبر هذه الوسائل في الواقع الإفتراضي في جميع أنحاء العالم ، مما يخلق حضورا وتأثيرا واسعا لها[40].

جدول رقم (1): مواقع الأنترنت الخاصة بالمرجعيات الدينية

الأسم	الموقع	اللغات
آية الله السيستاني	www.sistani.org	العربية، الفرنسية، التركية، الأذربيجانية، الإنجليزية، الأردية، الفارسية
آية الله الفياض	www.alfayadh.org	العربية، الإنجليزية، الفارسية
آية الله بشير النجفي	www.alnajafy.com	العربية، الإنجليزية، الأردية
آية الله محمد سعيد الحكيم	www.alhakeem.com	العربية، الإنجليزية، الفارسية، الأردية

المصدر: إشراك القيادات الدينية العراقية في عملية السلام والمصالحة خلال مرحلة ما بعد داعش، معهد الولايات المتحدة للسلام، إصدار رقم 154، 2019، ص40.

ونخلص مما تقدم، الى أهمية الدور الذي يؤديه الدين في مستقبل الدبلوماسية، وهو ما يقدم دليلا على طبيعة المتغيرات التي أحدثتها العولمة ووسائل الثورة التكنولوجية وتطور وسائل الإتصال والإعلام والتواصل الإجتماعي، إذ وظفت المرجعيات الدينية هذه الوسائل لممارسة تأثير واسع في جميع أنحاء العالم، والذي وصل الى درجات غير مسبوقة من حيث الحجم والإنتشار من خلال الأرقام التي ذكرت في البحث لأعداد المتابعين لهذه المرجعيات، وهذا يفرض على الدبلوماسيين ان يلتفتوا الى قنوات التأثير الجديدة والمهمة هذه، لأن بعض الدول لا تنفصل عن هويتها الدينية، وعلى الرغم من أن الإسلام والمسيحية يشكلان معا حسب بعض التقديرات أغلبية 55% بين سكان العالم، إلا أنه من الممكن أيضا أن تثبت الأديان الصغيرة أهميتها في الحضور الدبلوماسي، لذا فإن دبلوماسية المستقبل يجب أن تمنح الدين مكانته المناسبة في العلاقات العالمية[41].

الخاتمة:

وفي الخاتمة نبين أهم الإستنتاجات والتوصيات التي توصل لها البحث:

1- بدأ الإهتمام الفعلي بدور المقاربة الدينية بشكل صريح وواضح في الساحة الدولية بعد أحداث 11 أيلول 2001 ، وعلى الرغم من الدراسات والأبحاث التي سبقت ورافقت نهاية الحرب الباردة والتي أثارت جدلا عن الصراعات المستقبلية بين الحضارات ودور الدين فيها (هنتغتون) أو غيرها، إلا أن هذه الرؤى كانت تدور غالبا في أوساط النخب المثقفة عبر العالم، لذا كانت أحداث عام 2001 بداية جديدة لمرحلة أصبحت فيها المقاربة الدينية هي المهيمنة في العلاقات الدولية.

2- ركز البحث على دور الدبلوماسية الدينية في القيام بأدوار للوقاية وحل الأزمات السياسية، والحفاظ على الأمن والسلام، وذلك من خلال الأنشطة التي تمارسها بشكل مباشر أو غير مباشر عبر شبكة من العلاقات الرسمية وغير الرسمية التي تربطها بالقوى الأخرى الداخلية أو الخارجية، وكيف أسهمت التطورات التي رافقت العولمة والثورة التكنولوجية على تعظيم هذا النشاط، فضلا عن التعرف على التحديات التي تواجه هذا الدور.

3- لا يزال موضوع إرتباط الدين والهويات الدينية بالسياسة الخارجية والعمل الدبلوماسي من المواضيع التي لم يتم تغطيتها بالشكل المطلوب، حيث يعد

العامل الأقل دراسة من حيث التأثير في الشؤون العالمية، وإن تأثير الدين في السياسة العالمية نابع من إرتفاع النسبة المئوية لسكان العالم الذين يعتنقون الأديان من 50% عام 1900 الى 64% عام 2000.

4- يشير قسم من الباحثين في السياسة الدولية، الى أن تسييس الدين وتدين السياسة وخاصة في البيئة الدولية الحالية ، هو دليل على الدور المتنامي للدين في الدبلوماسية كفرصة لقيام إلتزامات متبادلة بشأن وضع حلول للأزمات الكبيرة والمستعصية، وهي تعبر عن الأدوار التي أخذت تنشط فيها الجهات الفاعلة من غير الدول في العقود الأخيرة.

5- هناك العديد من الأمثلة الجديرة بالذكر في مجال الدبلوماسية الدينية والتي بينها البحث مثل: رسالة قائد الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني الراحل الموجهة الى غورباتشوف، وتحريم السيد الخامنئي لصنع وحيازة الأسلحة النووية ، ودور السيد السيستاني في الحفاظ على وحدة العراق وصيانة أمنه ، ودور البابا في الدعوة الى الحفاظ على الأمن والسلام في العالم، وغيرهم.

6- من وجهة نظر دبلوماسية، يشكل التوتر الدولي الناجم عن برنامج ايران النووي، دافعا لتصدر دور الدين والقادة الروحيين في السياسة الدولية، لذا فإن إنخراط رجال الدين في مثل هكذا ملفات حساسة ، يبرز بشكل جلي مخاطر هذا الدور وفرصه على حد سواء في وضع حلول ناجزة تدفع خطر المواجهة بين الأطراف المتصارعة، وتزيد من فرص الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين.

7- ومن وجهة نظر أخرى، يمكن إعتبار الدبلوماسية الدينية أيضا في بعض حالاتها (كما يعتقد الباحث) صورة من صور الدبلوماسية الوقائية إذا جاءت قبل حدوث الأزمة أو في بداياتها لمنع تفاقمها، والتي أخذت تنهض بها اليوم بالإضافة الى المرجعيات والقيادات الدينية في العالم، جهات عديدة أخرى من الفاعلين الجدد في الساحة الدولية.

8- تحظى المرجعية الدينية في العراق بشكل عام بإحترام كبير لدى أتباعها، وكانت عبر تأريخها الطويل ملهمة للعديد من الثورات ضد الإستعمار البريطاني وغيره من القوى الكبرى، مثل ثورة العشرين في العراق عام 1920 م ضد الإحتلال البريطاني، حيث نجد أن دور المرجع الديني قد تغير من مجرد فقيه يعمل على إصدار الفتاوى والفصل في القضايا الشرعية، الى مرشد وموجه في شؤون الحياة السياسية والإجتماعية.

9- ولعل أهم وأبرز مساهمات المرجعية بعد عام 2003 من خلال توظيف الدبلوماسية الدينية، هي المحافظة على العراق وأمنه الوطني عبر إجهاضها لكافة المشاريع الإستراتيجية لقوى الإحتلال التي خططت لها وكانت تريد تنفيذها في العراق، وساهم الضغط المتواصل للمرجعية من خلال المواقف المدروسة والفاعلة في تكوين رأي عام داخلي ودولي أسهم في نقل قسم من السلطات الفعلية من القوات المحتلة الى الأمم المتحدة، والتي نتج عنها إصدار مجلس الأمن لسلسلة من القرارات المهمة طبقا لرؤية المرجعية الدينية التي رسمت خارطة طريق لما ينبغي أن يكون من أجل إيصال البلد الى شاطئ الأمان.

التوصيات:

1- نوصي بضرورة أن تأخذ وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي في العراق بعين الإعتبار آراء المرجعيات الدينية الرئيسة في العراق بخصوص العديد من القضايا الهامة داخليا وخارجيا ، ويكون هذا من ضمن أولوياتها وبشكل مستدام عبر أحد الأجهزة الإدارية في الوزارة، نظرا لما تتمتع به من مكانة وتأثير لا يمكن إغفاله بأي حال من الأحوال.

2- إن إنخراط المرجعيات الدينية والقادة الدينيين في الدبلوماسية غير الحكومية أو دبلوماسية المسار الثاني في العقود الأخيرة أدى الى تحقيق نتائج مهمة تعجز عن تحقيقها أحيانا الدبلوماسية التقليدية، وحيث أن هذا النشاط يستند الى التأثير الروحي والمكانة الإجتماعية لهذه المرجعيات، لذا نوصي بأن تتخذ هذه الأنشطة صيغا مؤسسية في بيئة المرجعية لتكون أكثر وأرسخ تأثيرا من خلال التنسيق والمتابعة من قبل المؤسسات الرسمية في وزارة الخارجية مع هذه الهياكل المؤسسية في بيئة المرجعيات الدينية في حال وجودها.

3- نوصي أصحاب القرار في الحكومة العراقية ووزارة الخارجية الى تخصيص العديد من البرامج والمناهج التثقيفية والتدريبية عن دور الدين والمرجعيات الدينية في السياسة الخارجية والدولية لرجال السلك الدبلوماسي العراقي، بعد أن أصبح هذا الدور فاعلا ومؤثرا جدا خلال العقود الأخيرة، وهو ما يسهم بشكل كبير في زيادة تأثير السياسة الخارجية للعراق مستقبلا ، كون ان العراق يحظى بوجود العديد من المرجعيات الدينية المعروفة والمؤثرة.

4- كان للمرجعية العليا في النجف في الحفاظ على وحدة العراق وإستقلال قراره السياسي عبر خارطة الطريق التي رسمتها والتي بينها البحث، دورا كبيرا في خلاص البلد من مخططات الإحتلال، لذا نوصي صاحب القرار العراقي أن يتم أرشفة وحفظ هذا التراث السياسي ، وإعداد مناهج ودراسات خاصة لغرض تدريسها في المدارس والجامعات العراقية لتنمية الروح الوطنية لدى الطلبة، وتعريفهم بأهمية ودور هذه القيادات الدينية الإجتماعية كداعم ومعزز لدور الدولة واستمرارها.

5- وبالنسبة لدور المرجعية في النجف في الحفاظ على الأمن الوطني للبلد من أن ينزلق الى الحرب الأهلية، أو يتعرض للإحتلال من قبل العصابات التكفيرية عبر فتوى الجهاد الكفائي، فقد كان له أثرا كبيرا في درء الخطر عن العراق خاصة والمنطقة والعالم بشكل عام، لذا نوصي أن يقوم صاحب القرار العراقي بأن يتم إعداد مناهج ودورات تثقيفية وتدريبية لمنتسبي الوزارات الأمنية كافة في تعزيز روح الوطنية واستلهام توصيات وإرشادات المرجعية في الحفاظ على الوطن والمواطن وصيانة أمنه ، كونها من الواجبات الشرعية والوطنية.

الهوامش:

1 ياسر عبد الحسين، الدين والعلاقات الدولية: معهد دراسات التنوع الديني أنموذجا، متاح على الرابط الألكتروني: https://www.almadapaper.net (accessed) 8.7.2021

2 للمزيد ينظر: هبة جمال الدين، الدبلوماسية الروحية: مسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصنع القرار، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد 26، العدد 116، 2019، ص18.

3 ياسر عبد الحسين ، الدين والعلاقات الدولية، م س ذ.

4 Philip Seib, the Future of Diplomacy, Polity Press, Cambridge, UK, 2016, P.78.

* من تغريدة للبابا حول الإحتباس الحراري: "تحد كبير: توقفوا عن تخريب الجنة التي إئتمننا الله عليها لكي ينعم بها الجميع".

5 Ibid, P.80.

6 للمزيد ينظر: ياسر عبد الحسين، الدين والعلاقات الدولية، م س ذ.

7 جوزيف س. ناي، القوة الناعمة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2007، ص209.

8 بول ويلكنسن، العلاقات الدولية: مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: لبنى عماد تركي، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص60.

9 Monica Duffy Tuft, Daniel Philpot, and Timothy Shah, God's Century: Resurgent Religion and Global Politics, Norton & Co, 2011, PP.173-184.

10 فاضل محمد زكي، الدبلوماسية في عالم متغير، مكتبة السنهوري، بغداد، 1992، ص33-39.

11 نفس المصدر، ص ص40-41.

12 للمزيد ينظر: الشيخ ابي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى ، الجزء السابع، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 34.

13 عدنان خزعل الجبوري، الدبلوماسية الوقائية وأثرها في معالجة الخلافات – دراسة مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الدولي، مجلة مداد الآداب، العدد 11، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بغداد ، 2017، ص514.

14 للمزيد ينظر: فاضل محمد زكي، الدبلوماسية في عالم متغير، م س ذ، ص ص52-54.

15 نفس المصدر ، ص ص70-78.

16 أحمد عدنان الميالي، دور المرجعيات الدينية في المجال الدبلوماسي وإدارة الأزمات، مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية، متاح على الرابط الألكتروني: https://www.mcsr.net (accessed) 22.6.2021

17 استخدم مصطلح "دبلوماسية المسار الثاني" Two Track Diplomacy لأول مرة عام 1981 من قبل الدبلوماسي الأميركي السابق "جوزيف مونتفيل" للإشارة الى تلك الحوارات غير الرسمية التي يتم إجراؤها من أجل الصراعات المستعصية. ولا يوجد إتفاق حول تعريف مفهوم "دبلوماسية المسار الثاني" ، وهو ما يرجع الى الإختلاف حول مجموعة من العوامل أبرزها عدم تطابق الرؤى حول شكل الأنشطة التي يمكن أن تندرج تحت مسمى دبلوماسية المسار الثاني ، والإختلافات حول الفاعلين الرئيسيين فيه ، ناهيك عن إختلاف آخر حول رؤية موقع ذلك النمط من الدبلوماسية من عملية التفاوض الرسمي التي تتم بين أطراف النزاع . ففي حين يشار الى المسار الثاني بإعتباره عملية تسبق عملية التفاوض الرسمي ، فإنه في بعض الحالات الأخرى يكون موازيا للمفاوضات الرسمية التي يجريها ممثلوا الدولة. للمزيد ينظر : عمرو صلاح ، دور اللقاءات غير الرسمية في تسوية الصراعات بين الدول ، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، متاح على الموقع الألكتروني: http://www.futureuae.com (accessed) 6.8.2021

18 للمزيد ينظر: ألن كيسويتر والأسقف جون شاين، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والإنخراط في عالم من الإضطرابات والتغيرات الديناميكية، ورقة بحثية لمنتدى مشروع العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي ، مركز سابان التابع لمعهد بروكنغز ، واشنطن ، 2013، ص7.

19 محمد عبد الله يونس، تحولات النظام الدولي خلال خمسين عاما ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 200، القاهرة، ص101.

20 للإطلاع على الرسالة ينظر: الإمام الخميني، دعوة الى التوحيد، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ، ط3، ايران . كذلك ينظر الموقع الألكتروني: http://ar.imam-khomeini.ir

21 ألن كيسويتر والأسقف جون شاين، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والإنخراط في عالم من الإضطرابات والتغيرات الديناميكية ، م س ذ ، ص7.

22 نفس المصدر ، ص17.

23 البابا فرنسيس يلتقي المرجع السيد على السيستاني في النجف ، متاح على الموقع الألكتروني:
https://www.almayadeen.net (accessed) 4.8.2021

24 Monica Duffy Tuft, Daniel Philpot, and Timothy Shah, Op.cit.Pp.173-184.

25 للمزيد حول الموضوع ينظر: الأمم المتحدة، منع نشوب النزاعات ، تقرير الأمين العام عن الدبلوماسية الوقائية (S/2011/552) ، متاح على الرابط الألكتروني: http://www.un.org (accessed) 9.7.2021

26 للمزيد ينظر: كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية: الموقف الوطني في العراق بعد 2003، ط1، ترجمة: نصر محمد علي ، مركز الرافدين للحوار، 2020، ص220.

* ثورة التنباك : هي الفتوى التي أصدرها ية الله حسين الشيرازي والتي حظر بموجبها تعاطي التبغ ، والغت قرار الشاه القاجاري عام 1890 بمنح إمتيازات تجارية حصرية لشركة بريطانية لصناعة التبغ الإيراني.

27 كارولين مرجي صايغ، نفس المصدر، ص29.

28 نفس المصدر، ص33.

29 مجموعة باحثين، دور الدبلوماسية الدينية في حل الأزمات، متاح على الرابط: https://www.mcsr.net (accedes) 10.7.2021

30 نفس المصدر.

31 تقدم المرجعية الدينية خدمات إجتماعية ضخمة من قبيل رعاية طلاب العلوم الدينية وتمويلهم برواتب شهرية وإسكانهم في مجمعات خاصة ، بالإضافة الى تقديمها الخدمات الطبية وغير ذلك مما يتيح لها التواصل مع باقي المواطنين، فهناك العديد من المستشفيات التي أنشأتها وتشرف عليها المرجعية مثل مستشفى جواد الأئمة التخصصي للعيون، وعيادتان لذوي الدخل المنخفض، عيادة الإمام الصادق الخيرية، وعيادة الأمام الحسن المجتبى، كما ترعى مرجعية السيد السيستاني مؤسسة العين للرعاية الإجتماعية التي تعتني بالأيتام والنازحين والمشردين، حيث قدمت حتى نهاية عام 2015 الرعاية لثلاثين ألف يتيم بتكلفة تقرب من 80 مليون دولار، فضلا عن التكفل بإيواء النازحين من المحافظات الغربية بعد أحداث داعش، وفي تحقيق أجرته مجلة اتلانتك أن المرجعية فعلا بدأت تضطلع ببعض وظائف الدولة على نحو ملموس. للمزيد ينظر: آن وينسكوت ، إشراك القيادات الدينية العراقية في عملية السلام والمصالحة خلال مرحلة مابعد داعش، معهد الولايات المتحدة للسلام، رقم 54، 2019، ص30.

32 أحمد محمد علي العوادي، دور المرجعية الدينية في عملية الإصلاح في العراق بعد عام 2003، مجلة العلوم السياسية ، المجلد 57، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد، 2019، ص ص388-391.

33 للمزيد تنظر: المواد الأولى والثانية والخامسة والسادسة من الدستور العراقي النافذ لعام 2005.

34 أصدر مجلس الأمن منذ عام 2003 ولغاية عام 2005 تسعة قرارات مهمة ، هي: القرار رقم 1483 في مايس 2003 (ضرورة محاسبة رموز النظام السابق ، وإعطاء حرية للشعب لتحديد مستقبله السياسي) ، القرار رقم 1500 في آب 2003 (ترحيب بإنشاء مجلس الحكم) ، القرار رقم 1511 في تشرين أول 2003 (تشكيل قوات متعددة الجنسيات تحت قيادة موحدة لتحقيق الأمن في العراق) ، القرار رقم 1538 في نيسان 2004 ، القرار رقم 1546 في حزيران 2004 (الترحيب بإنشاء حكومة مؤقتة وإنهاء الإحتلال) ، القرار

رقم 1557 في آب 2004 ، القرار رقم 1637 في تشرين الثاني 2005 (تمديد بقاء القوات لسنة أخرى) ، القرار رقم 1700 في آب 2006، القرار رقم 1859 في كانون أول 2008 (إنهاء التفويض الممنوح لبقاء القوات الأجنبية في العراق).

35 للمزيد ينظر: عامر حسن فياض و محمد جميل عودة ، دور المرجع الديني علي السيستاني في مواجهة الإحتلال بعد عام 2003 ، متاح على الرابط الألكتروني: https://www.iasj.net (accessed) 14.7.2021

36 للمزيد ينظر: حيدر محمد الكعبي وعلي لفتة العيساوي، دور المرجعية في مظاهرات تشرين، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، النجف الأشرف، 2021، ص6.

37 للمزيد ينظر: علي المعموري، مطالبات بترشيح السيستاني لجائزة نوبل للسلام ، صحيفة المونيتور، متاح على الرابط: https://www.al-monitor.com (accessed) 30.7.2021

38 حيدر محمد الكعبي وعلي لفتة العيساوي ، م س ذ، ص ص7-8.

39 لا تستخدم المرجعية الدينية بالنسبة للمراجع الكبار وسائل التواصل الأخرى مثل (فيسبوك، تويتر، انستغرام، وغيرها) ، لكن هناك مرجعيات أخرى وشخصيات دينية تنشط بشكل كبير على هذه المواقع، فالسيد كمال الحيدري يتصدر المرجعيات في نفوذه على الفيسبوك ، ولديه ما يقرب من مليوني متابع على أكثر من وسيلة منها. للمزيد ينظر: آن وينسكوت، م س ذ، ص ص36-37.

40 نفس المصدر، ص ص38-40.

41 Philip Seib, The future of diplomacy, Polity Press, Cambridge, UK, Pp.79-80.

المصادر:

1- الدستور العراقي النافذ لعام 2005.

2- أحمد عدنان الميالي، دور المرجعيات الدينية في المجال الدبلوماسي وإدارة الأزمات، مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية، متاح على الرابط الألكتروني: https://www.mcsr.net (accessed) 22.6.2021

3- بول ويلكنسن، العلاقات الدولية: مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: لبنى عماد تركي، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص60.

4- جوزيف س. ناي، القوة الناعمة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2007.

5- الشيخ ابي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى ، الجزء السابع، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

6- عدنان خزعل الجبوري، الدبلوماسية الوقائية وأثرها في معالجة الخلافات – دراسة مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الدولي، مجلة مداد الآداب، العدد 11، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بغداد ، 2017.

7- فاضل محمد زكي، الدبلوماسية في عالم متغير، بغداد، 1992.
8- هبة جمال الدين، الدبلوماسية الروحية: مسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصنع القرار، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد 26، العدد 116، 2019.
9- ياسر عبد الحسين ، الدين والعلاقات الدولية: معهد دراسات التنوع الديني أنموذجا ، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.almadapaper.net (accessed) 8.7.2021
10- عمرو صلاح ، دور اللقاءات غير الرسمية في تسوية الصراعات بين الدول ، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، متاح على الموقع الألكتروني:
http://www.futureuae.com (accessed) 6.8.2021
11- ألن كيسويتر والأسقف جون شاين، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والإنخراط في عالم من الإضطرابات والتغيرات الديناميكية، ورقة بحثية لمنتدى مشروع العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي ، مركز سابان التابع لمعهد بروكنغز ، واشنطن ، 2013.
12- محمد عبد الله يونس، تحولات النظام الدولي خلال خمسين عاما ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 200، القاهرة.
13- الإمام الخميني، دعوة الى التوحيد، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ، ط3، ايران . كذلك ينظر الموقع الألكتروني:http://ar.imam-khomeini.ir
14- البابا فرنسيس يلتقي المرجع السيد على السيستاني في النجف ، متاح على الموقع الألكتروني: https://www.almayadeen.net (accessed) 4.8.2021
15- الأمم المتحدة، منع نشوب النزاعات ، تقرير الأمين العام عن الدبلوماسية الوقائية (S/2011/552) ، متاح على الرابط الألكتروني:
http://www.un.org (accessed) 9.7.2021
16- كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية: الموقف الوطني في العراق بعد 2003، ط1، ترجمة: نصر محمد علي ، مركز الرافدين للحوار، 2020.
17- مجموعة باحثين، دور الدبلوماسية الدينية في حل الأزمات، متاح على الرابط:
https://www.mcsr.net (accedes) 10.7.2021

18- آن وينسكوت ، إشراك القيادات الدينية العراقية في عملية السلام والمصالحة خلال مرحلة مابعد داعش، معهد الولايات المتحدة للسلام، رقم 54، 2019.

19- أحمد محمد علي العوادي، دور المرجعية الدينية في عملية الإصلاح في العراق بعد عام 2003، مجلة العلوم السياسية ، المجلد 57، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2019.

20- عامر حسن فياض و محمد جميل عودة ، دور المرجع الديني علي السيستاني في مواجهة الإحتلال بعد عام 2003 ، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.iasj.net (accessed) 14.7.2021.

21- حيدر محمد الكعبي وعلي لفتة العيساوي، دور المرجعية في مظاهرات تشرين، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، النجف الأشرف، 2021.

22- علي المعموري، مطالبات بترشيح السيستاني لجائزة نوبل للسلام ، صحيفة المونيتور، متاح على الرابط:
https://www.al-monitor.com (accessed) 30.7.2021.

23- Philip Seib, the Future of Diplomacy, Polity Press, Cambridge, UK, 2016.

24- Monica Duffy Tuft, Daniel Philpot, and Timothy Shah, God's Century: Resurgent Religion and Global Politics, Norton & Co, 2011.

Religious diplomacy and its political and security implications, the religious reference in Iraq after 2003 as a model.

Dr. Safaa Ibrahim Almusawy
University of Nahrain
mr.safaa1@gmail.com

Keywords: religious diplomacy, religious reference.

Summary:

The actual interest in the role of the religious approach in international relations did not emerge explicitly and clearly until after the events of 11 September 2001, and despite the increase in studies and research that preceded and accompanied the end of the Cold War, which sparked controversy about future conflicts between civilizations and the role of religion in them, such as Huntington's research and others, However, these visions were often shared among the educated elites more than others, so the events of 2001 are the beginning of a new phase in which the religious approach has become dominant in international relations.

This research focuses on the role of religious diplomacy in domestic and foreign policy as a parallel diplomacy to official diplomacy, and on its effects in the political and security fields through the roles that it exercises directly or indirectly through a network of formal and informal relations that link it to other internal or external forces, and the research also indicates To the role of the transformations that accompanied globalization and the technological revolution and how they contributed to maximizing and growing this activity. The research dealt with the model of religious reference in Iraq after 2003 as a case study on the subject.